ويرى بعض الدارسين - وهذا هو الراجح - أن عناصر القصة الفنية قد تتفق لبعض المقامات دون بعضها الآخر، فلو طبقنا تلك العناصر على مقامات بديع الزمان - مثلا - لوجدت مكتملة في إحدى عشرة مقامة، وربما كانت "المقامة المضيرية" أشهرها وأكثرها براعة وفنًّا حسب المقاييس الفنية الحديثة، وقد وصفها بعض الأدباء بأنها "قصة عصرية تنوء عن مضارعتها اليوم أية قصة في تحليل الشخصيات ودرس النفسيات، وهي من أكثر المقامات طرافة، وأجملها أسلوبًا، وأروعها تصويرًا"[1].

أما من غالوا في الدفاع عن قصصية المقامات، فقد جعلوا منها فنًّا قصصيًّا مكينًا، وجعلوا من بديع الزمان منشئًا للقصة العربية القصيرة أول مرة في تاريخ الأدب العربي المستظل بظلال الحضارة الإسلامية. ولو قدر لمدرسة القصة العربية الأصيلة هذه أن تسير في نهج سليم، لما كان أدباؤنا المحدثون في حاجة إلى أن يستوردوا هذا الفن من الأدب الغربي.

ونظرًا للفروق الحتمية بين الثقافات والحضارات، فإن في تطبيق القواعد الفنية الصارمة للقصة القصيرة الحديثة على فن المقامات إجحافًا كبيرًا بهذا الفن: "فالمقامة قصة، والفرق بينها وبين قصص اليوم كالفرق بين هندام أنت، وهندام جدك رحمه الله"[2].

وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث، فإننا نجد أن أول باكورة قصصية تقليدية استلهمت أسلوب المقامات، وهي قصة "عيسى بن هشام" لمحمد المويلحي، وقد "رسم صور شخصياته على ذلك المنحى الذي كان متداولا ومستساغا في ذلك الحين، وإن جاءت قصصه خالية من الحبكة الفنية وترابط الحوادث، مع أنها مجموعة منسقة من الطرائف والسخرية والفكاهة"[3].

---

(1)(2) انظر: في النثر العربي: محمد يونس عبد العال، ص 243.
(3) الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار: د. جودت الركابي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 85، ص 321.